أولئك الأخيار

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:

دار القاسم

المقدمة

الحمد لله الـــذي جعل جنة الفـــردوس لعباده المؤمنين، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصـلة إليهـا، فلم يتخـذوا سـواها شـغلاً، وسـهل طرقها فسـلكوا السـبيل الموصـلة إليها ذللاً، والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبياء والمرسلين الذي قام من الليل حتى تفطرت قدماه.

وبعد:

إن صـحبة الأخيـار ومجالسة الصـالحين وسـماع أخبـارهم تغـرس في النفـوس حب الخير والرغبة في مجـاراتهم والوصـول إلى ما وصـــلوا إليه من الجد والاجتهـــاد في الطاعـة... فـإن القلـوب تحتـاج إلى تـذكير وترغيب خاصة مع ما نـراه من طـول الأمل واللهث وراء حطام الدنيا.

وهذه هي المجموعة الثالثة من سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟» تحت عنوان «أولئك الأخيـار» تتحـدث عن قيـام الليـل... وهو جـانب مضـيء مشـرق من أعمـال سـلفنا

الصـــالح. لعل قلوبنا تســـتيقظ من غفلتها وتصحو من غفوتها جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

قيام الليل

قال تعـالى: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَـانِتٌ آَنَـاءَ اللَّيْـلِ سَـاجِدًا وَقَائِمًا يَحْـذَرُ الْآَخِـرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَـةَ رَبِّهِ قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة الزمر: 9].

وقـــــال جل وعلا: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْـــــلِ مَا يَهْجَعُـــــونَ * وَبِالْأَسْـحَارِ هُمْ يَسْـتَغْفِرُونَ**﴾ [سـورة الذاريات، الآيات: 15-18].

وعنـدما سـئل رسـول الله ﷺ، عن رجل نـام الليل حـتى أصـبح قـال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**»[1].

وقد وصف الله -سبحانه وتعـالى- قيـام الليل بقوله: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَـدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾[سورة المزمل، الآيـة: 6]، وفسر ابن كثـير قوله -تعـالى-: ﴿**هِيَ**

---

[1] (?) متفق عليه من حديث ابن مسعود.

أَشَـــدُّ وَطْئًا وَأَقْــــوَمُ قِيلًا بأنه أجمع للخاطر في أداء القـراءة وتفهمها من قيـام النهـــار، لأنه وقت انتشـــار النـــاس ولغط الأصوات وأوقات المعاش[1] .

وقيام الليل مرحلة صراع ومجاهــدة مع النفس فلا شـــيء أعظم أثـــرًا في النفس البشرية من الاستمرار في الطاعة والعبادة خاصة وقت الراحة والدعة والســــــكون، ولذلك شـهد الله –سـبحانه وتعـالى- لقـوام الليل بالإيمــان الصــادق ووعــدهم بــالخير الجزيل فقــال تعــالى: **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَـــرُّوا سُــــجَّدًا وَسَـــــــبَّحُوا بِحَمْــــــدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْــتَكْبِرُونَ * تَتَجَـافَى جُنُــوبُهُمْ عَنِ الْمَضَـاجِعِ يَـدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَــاهُمْ يُنْفِقُــونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـــرَّةِ أَعْيُنٍ جَـزَاءً بِمَا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ** [السـجدة، الآيات: 15-17].

---

1 (?) تفسير ابن كثير 4/436.

أخي الحبيب:

إن قيام الليل عبـادة تصل القلب باللـه، وتجعله قـــادرًا على التغلب على مغريــــات الحيــــاة وعلى مجاهـــدة النفس، في وقت هدأت فيه الأصـوات ونـامت العيـون وتقلب النوام على الفرش ولكن قوام الليل يهبون من فرشـــهم الوثــيرة وســـررهم المريحة ويكابـدون الليل لا ينـامون إلا القليـل، ولـذا كـــان قيـــام الليل من مقـــاييس العزيمة الصــادقة وســمات النفــوس الكبــيرة وقد مــدحهم الله ومــيزهم عن غــيرهم بقوله -تعـالى-: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَـانِتٌ آَنَـاءَ اللَّيْـلِ سَـاجِدًا وَقَائِمًا يَحْـذَرُ الْآَخِـرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَـةَ رَبِّهِ قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة الزمر الآية: 9].

وقيــام الليل ســنة مؤكــدة: حث النبي ﷺ على أدائها بقولــه: «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصـــــالحين قبلكم**

ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد»[1].

وقال مبينًا فضل قيام الليل: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل**»[2].

وقد حافظ عليه، ولم يتركه لا سفرًا ولا حضرًا وقام وهو سيد ولد آدم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر –حتى تفطرت قدماه- فقيل له: أما قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[3].

رغب في قيام الليل لما فيه من الخير العظيم والإحسان الجزيل بقوله: «**إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرًا إلا أعطاه إياه**»[4].

---

1 (?) أخرجه الترمذي، وأحمد وصححه الألباني.
2 (?) أخرجه مسلم.
3 (?) متفق عليه.
4 (?) أخرجه مسلم.

وهذا من منه وكرمه –جل وعلا-.

هذا **عمر بن ذر** يذكرنا بتلك الساعات والليالي فيقول: اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، وإنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله، كم من نائم في هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله –عز وجل- للعابدين غدًا، فاغتنموا عمر الساعات والليالي والأيام يرحمكم الله[1].

فيا أخي:

اشتر نفسك اليوم، فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير: ﴿**ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾، ﴿**يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾[2].

---

1 (?) حلية الأولياء 5/109.

2 (?) الفوائد 64.

قال أبو الدرداء: صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور[1].

وقد عجب **أحمد بن حرب** -رضي الله عنـــه- من نـــوم النـــائمين وغفلة الغـــافلين فقـــال: عجبت لمن يعلم أن الجنة تـــزين فوقه، والنار تضرم تحته، كيف ينام بينهمـا؟[2].

ولذلك تجدهم يستعدون لليل ويفرحـون بإقباله ويغتمون بإدباره، فكان **عمر بن ذر** إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال: جاء الليـل، ولليل مهابة، والله أحق أن يهاب[3].

وما ذاك إلا من توقـــير الله ورغبة فيما عنـده، وهم أقـوام وصـفهم **الفضـيل بن عياض** بقوله: أدركت أقوامًا يسـتحيون من الله في سـواد الليل من طـول الهجعة إنما هو على الجنب فإذا تحـرك قـال: ليس هـذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة[4].

---

1 (?) جامع العلوم والحكم 264.

2 (?) الإحياء 4/435.

3 (?) حلية الأولياء 5/111.

4 (?) صفة الصفوة 2/241.

وهو كما ذكر عبد الـــرحمن بن يزيد بن جـــابر حين قـــال: كنا نغـــازي **عطـــاء الخراساني** وننزل متقاربين، فكـان يحـيي الليل ثم يخـرج رأسه من خيمته فيقـول: يا عبد الـرحمن، يا هشـام بن الغـار، يا فلان، قيـام الليل وصـيام النهـار أيسر من شـرب الصـــديد، ولبس الحديـــد، وأكل الزقـــوم، فالنجاة النجاة...[1].

أخي....

ســـفر الليـــل لا يطيقـــه إلا مضـــمر المجاعة، النجائب في الأول وحاملات الـزاد في الأخير[2].

لبست ثوب الرجا والناس
وقمت أشكو إلى مولاي ما
وقلت يا عدتي في كل
ومن عليه لكشف الضر
أشكو إليك أمورًا أنت
ما لي على حملها صبر ولا
وقد مددت يدي بالضر

1 (?) السير 6/143.
2 (?) الفوائد 67.

إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة يرد[1]

قـــال **الحسن -رحمه الله-**: ما نعلم عملاً أشد من مكابــدة الليل ونفقة المــال، فقيل له ما بــــال المتهجــــدين من أحسن الناس وجوهًـا؟ قـال: لأنهم خلـوا بـالرحمن فألبسهم نورًا من نوره[2].

وهـذه المجاهـدة والمكابــدة في أول الأمر ثم تتبـدل إلى محبة وشـوق، فقد عــرف عن ثــابت البنــاني أنه يقــوم الليل ويصوم النهار، وكان يقـول: ما شـيء أجـده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل.

وقـــوام الليل يحبـــون -مثلنـــا- النـــوم والراحة والدعة ولكنهم نفضوا غبـار الكسل واستحثوا الخطى وقـووا العـزائم انظر إلى عبد العزيز بن رواد إذا جن عليه الليل يـأتي فراشه فيمر يـــده عليه ويقـــول: إنك للين،

---

1 (?) طبقات الشافعية 4/225.
2 (?) الإحياء 1/220.

والله إن في الجنة لألين منك، ولا يزال يصلي الليل كله[1].

ويسبق حلول الليل استعداد مبكر ونية صادقة لقيام الليل فهذا **معاوية بن قرة** يذكر نصيحة أبيه لهم إذا صلوا العشاء... يا بني ناموا لعل الله أن يرزقكم من الليل خيرًا.

ولا يكن نهار المسلم كما قال الشاعر:

نهارك يا مغرور سهو
وليلك نوم الردى لك لازم
وتتعب فيما سوف تكره
كذلك في الدنيا تعيش

فكن -يا أخي- من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا، فإن الولد يتبع الأم[2].

خرج **سليمان التيمي** إلى مكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة وكان يأخذ بقول الحسن؛ إنه إذا غلب النوم على قلبه توضأ»[3].

---

1 (?) الإحياء 1/420.
2 (?) الفوائد 68.
3 (?) حلية الأولياء 3/29.

إن جهــاد النفس جهــاد طويل وطريق صـعب يحتـاج إلى صـبر ومثـابرة، فقد كـان **صفوان بن سليم** في الصيف يصلي في الــبيت وإذا كـــان في الشـــتاء صـــلى في السطح لئلا ينام[1].

وهذا الجهاد والحرص على القيام يكون بأجمـل هيئـة وأحسـن زينـة.. فكـان الإمـام أحمد بن حنبـل –رحمـه اللـه- لـه قلنسـوة خاطهـا بيـده، فيهـا قطن فـإذا قـام الليـل لبسها[2].

قم في الدجى واتل

إلا كنومة حائر ولهان

فلربما تأتي المنية بغتة

فتساق من فرش إلى

يا حبذا عينان في غسق

من خشية الرحمن باكيتان

ومجاهــدة النفس صــعبة المنــال في البداية ولكنها ســهلة الانقيــاد بالإصــرار والعزيمة في النهاية كما ذكر ذلك **ثـــابت**

---

1 (?) حلية الأولياء 3/159.

2 (?) السير 11/206.

البناني بقوله: كابدت الصلاة[1] عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة[2].

وكانت أم سليمان -رضي الله عنها- على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، تقول له: يا بني لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيرًا يوم القيامة، يا بني... من يرد الله لا ينام الليل، لأن من نام الليل ندم بالنهار[3].

يا كثير الرقاد والغفلات الحسرات[4]

* كانت أم الربيع بن خثيم إذا رأت قلقه بالليل قالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً، فيقول... يا أماه قتلت نفسي[5].

وقالت أم عزوان له: أما لفراشك عليك حق؟! أما لنفسك عليك حق؟ قال: يا أماه... إنما أطلب راحتها، أبادر طي

---

1 (?) أي صلاة آخر الليل.

2 (?) السير 5/224، صفة الصفوة 3/260.

3 (?) الزهر الفائح 111.

4 (?) الزهر الفائح 19.

5 (?) المدهش 443.

صحيفتي[1].

أما شداد بن أوس فإنه إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت النوم فيقوم فيصلي حتى يصبح[2].

يناجون رب العالمين .. نوم[3]

ورغبة في الخير العظيم والجزاء الأكمل... صام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها وكان يبكي، فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح، كحل عينه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه (*) وخرج إلى الناس[4].

قال **عمر بن ذر**: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم، ونظروا إلى أهل

1 (?) مختصر قيام الليل 27.
2 (?) صفة الصفوة 1/709.
3 (?) صفة الصفوة 3/380.
(*) وذلك حتى لا يظهر عليه أثر الجهد والسهر خوفًا من الرياء.
4 (?) السير 5/406، صفة الصفوة 3/162.

الغفلة قد سكنوا إلى فرشـهم ورجعـوا إلى ملاذهم من النـوم، قـاموا إلى الله فـرحين مستبشـــــرين بما قد وهب لهم من حسن عادة السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشـروا الأرض بصـفاح وجـوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لـذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طـول العبـادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بــربح وغبن، أصبح هؤلاء قد ملوا النـوم والراحـة، وأصـــبح هـــؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للعادة، شتان ما بين الفريقين.

* حين سألت ابنة **الربيع بن خثيم** أباها: يا أبتاه الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنية إن أباك يخاف السيئات[1].

والآن تقلبت الأمــور وتغـيرت الأحــوال فمن لم ينم فهو غالبًا قـــــائم على منكر أو محـــرم... ولربما كــان مهمومًا مغمومًا من نقصــان مــال وأمر تجــارة أو عــارض من

1 (?) الزهد للإمام أحمد بن حنبل 469.

عـــوارض الـــدنيا، ولـــنر ما كـــان يهمهم ويشـــغلهم... فقد كـــان أحـــدهم وهو بشر الحافي لا يـزال مهمومًا فقيل له في ذلـك، فقـال: إني مطلـوب وكـان لا ينـام الليل .. وكـان يقـول: أخـاف أن يـأتيني أمـره وأنا نائم[1].

وقالت ابنة **لعامر بن عبد قيس**: مـا لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ فقال: يا بنية إن جهنم لا تدع أباك ينام[2].

ألا يا عين ويحك أسعديني
بطول الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي
بخير الدهر في تلك العلالي[3]

ولنسـمع مالك بن دينـار وهو يقـول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم، مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينـادون في منـار الـدنيا كلها يا أيها النـاس:

---

1 (?) الزهر الفائح 18.
2 (?) الزهد 316.
3 (?) صفة الصفوة 4/59.

النار النار[1].

وحتى سماع هـذه النـذير إذا بقي الأمـر دون جد ووثبة قوية فهو كمـا قـال هـرم بن حبـان: لم أر مثـل النـار نـام هاربهـا ولم أر مثل الجنة نام طالبها[2].

تيقظ لساعات من الليل
لعلك تحظى في الجنان
فقم فتيقظ ساعة بعد
عساك توفي ما بقي من

وقيـــــام الليل منة من الله –ســـــبحانه وتعـالى- وفضل منه على عبـاده الصـالحين الـــذين يسر لهم أســـباب القيـــام وأعـــانهم عليه.

قال **أبو سفيان الداراني**: من صفى صفي له، ومن كدر كـدر عليـه. ومن أحسن في ليله كـــوفئ في نهـــاره ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله[3].

ومن أهم الأسـباب المانعة الـتي تعـوق

---

1 (?) صفة الصفوة 3/286.
2 (?) الزهد للإمام أحمد بن حنبل 332.
3 (?) صيد الخاطر 34.

عن قيام الليل:

المعاصي والذنوب: فـإن قيـام الليل منحة ربانية للصالحين من عباده.

ذكر ذلك الحسن بقولــــــــه: إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل[1].

وقال سفيان الثوري: حرمت قيام الليل بـــذنب أحدثته منذ خمسة أشــــهر[2]، ومن حرم من خير القيام ومناجـاة رب العـالمين فإنه بسبب ذنوبه ومعاصيه.

ونبه إلى ذلك **الفضـــيل بن عيـــاض** فقال: إذا لم تقدر على قيام الليـل، وصـيام النهار فاعلم أنك محروم كبلتك خطيئتك[3].

وحين اشـتكى شـاب إلى الحسن عـدم قيامه الليل قـــــال له الحسن قيـــــدتك خطاياك[4].

فمن ترك المعاصي والذنوب أعانه الله

1 (?) الإحياء 10/4420

2 (?) حلية الأولياء 7/17.

3 (?) السير 8/435، الإحياء 1/420.

4 (?) صفة الصفوة 3/235.

على فعل الخيرات والطاعات، فقيـام الليل دأب الصـالحين، بعيد عن الفاسـقين قـريب للتائبين.

وفسر ذلك **بشر بن الحـارث** عنـدما قال: لا تجد حلاوة العبـادة حـتى تجعل بينك وبين الشهوات سدًا[1].

فإن من تحرى الخير وجـده، ومن بحث عن الطريق لقيـــــه، ومن أقبل على الله أعانه وسدده.

أخي:

همتك احفظها بقيـام الليـل، فـإن الهمة مقدمة الأشـــياء فمن صـــلحت له همته وصــدق فيهــا، صـــلح له ما وراء ذلك من الأعمـــال ويمثل لها ابن القيم بمثل لطيف فيقـــول مثل القلب مثل الطــائر كلما علا، بعد عن الآفـــات، وكلما نـــزل احتوشـــته الآفات[2].

قـــال **أبو عصـــمة بن عصـــام**

---

1 (?) السير 10/473.

2 (?) الجواب الكافي 70.

الـبيهقي: «بت ليلة عند أحمد بن حنبــل، فجـاء بالمـاء فوضـعه فلما أصـبح نظر في الماء فإذا هو كما كان، فقـال: سـبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل!!

ونلتفت قليلاً إلى رجـال اليـوم وكهـول الغد... إلى الشباب أصحاب القوة والنشاط والهمة والعزيمة ونـنـاديهم بنـداء **سـفيان الثـوري** الـذي كـان يصـلي ثم يلتفت إلى الشباب فيقول: إذا لم تصلوا اليوم فمتى؟! [1].

وقد ذكر إبـراهيم بن شـماس أحمـد بن حنبـل فقـال: كنت أعـرف أحمـد بن حنبـل وهو غلام وهو يحيي الليل[2].

من لم يقم للجد قبل

وخمود سريه فليس بقائم[3]

وبمقارنة سـريعة نـرى أن أكـثر القـوام هم من الشـيوخ والكهـول.. فـأين نصـيب الشـــباب من ذلـــك؟... وهو سن الصـــحة

---

1 (?) حلية الأولياء 7/59.

2 (?) السير 11/8.

3 (?) عقد اللؤلؤ والمرجان 269.

والقـــوة والنشـــاط. مقارنة بـــذلك الجسم النحيل الضـعيف، الـذي احـدودب ظهـره، وضـعفت قوتـه، وارتعشت أطرافـه.. ورغم كل ذلك نجـــده يقـــوم لله عابـــدًا راكعًـــا، ساجدًا.

قال **شـميط بن عجلان** موضـحًا ذلك التفـــاوت: إن الله –عز وجـــل- جعل قـــوة المـــؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضـــائه، ألا تـــرون أن الشـــيخ يكـــون ضـــعيفًا يصـــوم الهـــواجر ويقـــوم الليـــل، والشـــاب يعجز عن ذلك..[1].

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقلـــه، فـــوثب يومًا وثبة شديدة، فعوتب في ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصـغر فحفظها الله علينا في الكبر[2].

وقال بعض العلماء في كلمات صـــادقة:

---

1 (?) صـــفة الصـــفوة 3/341، حلية الأوليـــاء 3/130.

2 (?)جامع العلوم والحكم 226.

ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة، إلا ما يجـده أهل التملق في قلـوبهم بالليل من حلاوة المناجاة[1].

وكـان **ابن مسـعود** -رضي الله عنـه- إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح[2].

ويـروى أن طاوسًـا جـاء في السـحر يطلب رجلاً فقالوا: هو نـائم، قـال: مـا كنت أرى أن أحدًا ينام في السحر[3].

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم
وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم
أنين منه تنفرج الضلوع[4]

أما **عمـرو بن دينـار** فإنه جـزأ الليل ثلاثة أجـزاء، ثلثًا ينـام، وثلثًا يـدرس حديثـه،

---

1 (?) الإحياء 1/423.
2 (?) الإحياء 1/419.
3 (?) السير 5/42، صفة الصفوة 2/285.
4 (?) عقود اللؤلؤ والمرجان 270.

وثلثًا يصلي[1].

وهذا كمال الاستفادة من الوقت، ونرى اليوم من أضـاع نهـاره ثم هو في الليل بين نائم أو قـائم على منكر تـارك لـواجب، لأن النــوم والسـهر فيما لا فائــدة منه مضــيعة لأوقات محسوبة باللحظات والأنفاس.

قـال محمد بن عبد العزيز بن سـليمان: حدثتني أمي قالت: قال أبـوك: ما للعابـدين وما للنــوم؟ لا نــوم والله في دار الــدنيا إلا نوم غالب، قال: فكان والله لا يكاد ينــام إلا مغلوبًا.

وفي أيامنا هــذه يشــتكي الكثــير من الأرق ومن السـهر ولا يفكر أن يسـتفيد من هـذا الـوقت بصـلاة أو قـراءة قـرآن... بل تجــده يتقلب يمنة ويســرة بــدون فائــدة، فـــالنوم بعيد والتفكـــير في صـــلاة الليل والاستفادة من الوقت غير وارد.

ورحم الله **طاوسًـا** كـان إذا اضـطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة

---

[1] (?) السير 5/302.

على المقلاة، ثم ويثب ويصلي إلى الصباح، ثم يقول: طير ذكر جهنم نوم العابدين[1].

أخي: لما علم الصالحون قصر العمر، وحثهم حادي ﴿**وَسَارِعُوا**﴾ طووا مراحل الليل مع النهار انتهابًا للأوقات.

اصغ سمعك لنداء ربك، ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾ وبادر طيَّ صحيفتك وأحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدًا، فإن الدنيا ميدان المتسابقين[2].

عن نافع أنه قال: كان **ابن عمر** – رضي الله عنه- يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا، فيعاود الصلاة إلى أن أقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

وها هو **الحسن بن علي** لا يزال مصليًا ما بين المغرب والعشاء فقيل له في ذلك فقال: إنها ناشئة الليل.

أما **منصور بن المعتمر** فكان يصلي

---

1 (?) الإحياء 1/420.

2 (?) رهبان الليل 37.

في سـطحه فلما مـات، قـال غلام لأمـه: يا أماه: الجذع الـذي كـان في سـطح آل فلان ليس أراه.

قــالت: يا بــني ليس ذاك بجــذع.. ذاك منصور قد مات[1].

أخي الحبيب أين نحن من هؤلاء؟

كرر عليَّ حديثهم يا حادي الصادي[2]

كان أسيد –رضي الله عنه- إذا أوى إلى فراشه يتقلب كالحبة على المقلى ويقــول:إنك لين، وفــراش ألين منك (*)، ولا يزال راكعًا وساجدًا إلى الصباح[3].

ولم يكن أمــام أعينهم هــدف ســوى الوصــول إلى مرضــاة الله ودخــول جنــات عدن، فانظر إلى صنيعهم كما قال عبد الله بن داود: كــان أحــدهم إذا بلغ أربعين ســنة طــــوى فراشه كــــان لا ينــــام

1 (?) السير 5/406، صفة الصفوة 3/113

2 (?) بستان العارفين 4.

(*) يعني في الجنة.

3 (?) الزهر الفائح 20.

الليل[1].

وهم كما قال فيهم القائل:

ألستم خير من ركب
(2)

ونحن ينطبق علينا قول إبراهيم التيمي: «كم بينكم وبين القوم، أقبلت عليهم الــدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم فاتبعتموها»[3].

فالدنيا مضـمار سـباق وقد انعقد الغبـار وخفي الســابق، والنــاس في المضــمار بين فارس وراجل وأصحاب حمر معقرة[4].

قس على نفسك أخي انظر أين أنت منهم. اعلم أن من علامات الشـقاء ما قاله مالك بن دينار... أربع من علامـات الشـقاء: قســوة القلب وجمــود العين وطــول الأمل والحرص على الدنيا[5].

* ذات ليلة زار قيس بن مســلم، محمد

---

1 (?) الإحياء 4/435.
2 (?) شذرات الذهب 1/141.
3 (?) الفوائد 65.
4 (?) السير 5/61 حلية الأولياء 4/212.
5 (?) كتاب الزهد الكبير للبيهقي 195.

بن جحـــادة، فأتـــاه وهو في المســـجد بعد صـلاة العشـاء، ومحمد قـائم يصـلي، فقـام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصــلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكــان قيس بن مسـلم إمـام مسـجده، فرجع إلى الحي فــأمهم، ولم يلتقيــا، ولم يعلم محمد مكانــه، فقــال بعض أهل المســجد: زارك أخــوك قيس بن مســلم البارحة فلم تنفتل إليه. قال: ما علمت مكانه، فغـدا عليه فلما رآه قيس بن مســــــلم مقبلاً قـــــــام إليه فاعتنقه، ثم خلوا جميعًا فجعلا يبكيان[1].

وحالنا اليوم تبدلت فما أن يسلم الإمام حتى ترى من يتفحص الوجــوه ويلتفت يمنة ويســـرة بـــدون داع فيـــؤثر على ســـكونه وهدوئه، وربما غفل عن الأذكار الـواردة بعد الصلاة.

حدث المغيرة بن حـبيب فقـال: يمـوت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله! قال: فصليت معه العشاء الآخـرة ثم جئت فلبست قطيعـة في أطـول مـا يكـون

1 (?) صفة الصفوة 3/127.

الليل، قال: وجاء مالك فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى آخر الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، فوالله مازال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً، ويقول يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، فما زال كذلك حتى طلع الفجر[1].

لله قوما خلصوا في حبه
فاختارهم ورضي بهم خدامًا
قوم إذا جن الظلام عليهم
أبصرت قومًا سجدًا وقيامًا
فسيغنمون عرائسًا
ويبوءون من الجنان خيامًا
وتقر أعينهم بما أخفي
ويسمعون من الجليل سلامًا
يتلذذون بذكره في ليلهم
صيامًا[2]

---

1 (?) حلية الأولياء 2/361.

وذكر أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية: ﴿ **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِـدُهُمْ وَالسَّـاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾ [سـورة القمـر، الآيـة: 46]، يرددها ويبكي ويتضرع[1].

هذا معمر مؤذن سليمان التيمي يقـول: صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة وسمعته يقرأ: ﴿**تَبَـارَكَ الَّذِي بِيَـدِهِ الْمُلْكُ**﴾ [سورة الملك، الآية: 1]، فلما أتى على هذه الآية: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [سورة الملك، الآية 27] جعل يرددها حـتى خـفّ أهل المسـجد فانصرفوا، فخرجت وتركتـه، وغـدوت لأذان الفجر فنظرت فإذا هو في مقامه فسمعت، فـإذا هو لم يجزها وهو يقـول ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[2].

لما عرف الموفقون قـدر الحيـاة الـدنيا وقلة المقـام فيها أمـاتوا فيها الهـوى طلبًا لحياة الأبد، ولما اسـتيقظوا من نـوم الغفلة

---

2 (?) عقود اللؤلؤ 79.

1 (?) تاريخ بغداد 13/357.

2 (?) حلية الأولياء 3/29.

استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق فلمَّحوا المقصد، فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرت لهم الحياة حلي لهم تذكر: ﴿ **هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [سورة الأنبياء، آية: 103][1].

وقال القاسم بن أبي أيوب: «سمعت ابن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [سورة البقرة الآية: 281]»[2].

لله ساهر ليله ما يهجع
وجل الفؤاد من الذنوب
يبكي بدمع ساكب هفواته
والليل في جلبابه متبرقع
ندمًا على ما كان من
ملكًا تذل له الملوك وتخضع
يا رب، ما للذنب غيرك
وإليك منه يا إلهي المفزع

---

1 (?) الفوائد 60.
2 (?) صفة الصفوة 3/77.

يا رب عبدك ضارع فاغفر ويضرع[1]

قيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال: ساعة أنا فيها بين حالتين، أفرح بظلمته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع، ما تم فرحي به قط[2].

وقال وهب بن الورد في نداء حار وكلمات مؤثرة: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل[3].

أخي الحبيب... في هذه الأمة سباق إلى الخير أين أنت منه؟

قال قتادة: إن الملائكة تفرح بالشتاء للمؤمن، يقصر النهار فيصومه ويطول الليل فيقومه.

وذكر أن عامرًا لما حضر جعل يبكي.. فقالوا: ما يبكيك يا عامر؟! قال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام

---

1 (?) عقود اللؤلؤ 51.
2 (?) الإحياء 1/423.
3 (?) رهبان الليل 36.

الشتاء[1].

ولما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأربابه، وتملك الشيطان وقيادة النفوس، ورأوا الدولة للنفس الأمارة لجئوا إلى حصن التضرع والالتجاء[2].

قال إبراهيم بن أدهم : أفضل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان،ومن وفى العمل وفي له الأجر، ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير[3].

ولما لقيام الليل من الأجر العظيم والثواب الجزيل حث ﷺ أن يعم هذا الخير أهل البيت جميعهم فقال عليه الصلاة والسلام: «**رحم الله امرأة قامت من الليل، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت الماء في وجهه**»[4]، وقال ﷺ: «**من استيقظ من الليل**

---

[1] (?) الزهد للإمام أحمد بن حنبل 323.

[2] (?) الفوائد 62.

[3] (?) كتاب الزهد للبيهقي 282.

[4] (?) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

وأيقظ امرأته فصــليا ركعــتين، كتبا من الذاكرين كثيرًا والذاكرات»[1].

واهتم السـلف الصــالح بـأمر أســرهم وسـاروا على نهجه ﷺ في الحث على الخـير والتذكير به.

فعن القاسم بن راشد الشيباني قال... كان رفعة بن صـالح نازلاً عندنا، وكان له أهل وبنـات وكـان يقـوم فيصـلي ليلاً طـويلاً، فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته...

يا أيها الركب المعرسونا
أكل هذا الليل ترقدونا؟
ألا تقومون فتصلونا؟

قـال.. فيتواثبـون؛ من هنـا بـاكٍ، ومن ههنـــا داعٍ، ومن ههنـــا قـــارئ، ومن ههنـــا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى[2].

امنع جفونك أن تذوق
وذر الدموع على الخدود
واعلم بأنك ميت ومحاسب
يا من على سخط الجليل

---

1 (?) أخرجه أبو داود والنسائي.
2 (?) صفة الصفوة 2/229.

لله قوم أخلصوا في حبه

فرضي بهم واختصهم خداما

قوم إذا جن الظلام عليهم

باتوا هنالك سجدًا وقيامًا

خمص البطون من

لا يعرفون سوى الحلال

وحين تزوج **رياح القسي** امرأة فبـنى بها فلما أصبح قامت إلى عجينتها، فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هـذا، فقـالت: إنما تـــزوجت رياحًا القسي ولم أرني تـــزوجت جبارًا عنيـدًا، فلما كـان الليل نـام ليختبرهـا، فقـــامت ربع الليل ثم نادتـــه، قم يا ريـــاح، فقال: أقـوم، فلم يقم، فقـامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا ريـاح، فقـال: أقـوم. فلم يقم، فقـــــــامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا ريـاح، فقـال: أقـوم. فقـالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نـائم، ليت شـعري من غـرني بك يا ريـاح، قـال: وقامت الربع الباقي[1].

وانتبهت امـــرأة **حـــبيب العجمي بن**

1 (?) صفة الصفوة 444.

محمد ليلة وهو نـائم، فأنبهته في السـحر، وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهـار وبين يـديك طريق بعيد وزاد قليـل، وقوافل الصـــالحين قد ســـارت، ونحن قد بقينا[1].

فطالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له ســيره وطلبه إلا بحبســين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبــه، وحبسه عن الالتفـات إلى غـيره، وحبس لسـانه عما لا يفيـد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشـــهوات وحبســها على الواجبـات والمنـدوبات، فلا يفـارق الحبس حـتى يلقى ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه[2].

قالت **امرأة حسان بن أبي سـنان**: كـان يجيء فيـدخل معي في فراشـي، ثم يخادعني كما تخادع المرأة حبيبها، فإذا علم أني نمت سل نفسه فخـــرج ثم يقـــوم فيصلي، فقلت له: يا أبا عبد الله كم تعـذب

---

1 (?) صفة الصفوة 4/35.

2 (?) الفوائد 71.

نفسك؟ ارفق بنفسك فقال: اسكتي ويحك يوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا[1].

أخي:

إنما يقطع السفر ويصل المسافر.. بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله فمتى يصل إلى مقصده[2]؟

عباد ليل إذا جن الظلام
كما عابد دمعه في الخد
وأسد غاب إذا نادى الجهاد
هبوا إلى الموت يستجدون
يا رب فابعث لنا من
يشيدون لنا مجدًا أضعناه

كان **للحسن بن صالح** جارية فباعها من قوم، فلما كان جوف الليل، قامت الجارية، فقالت: يا أهل الدار الصلاة، فقالوا: أصبحنا؟، أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟، قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني لمن

1 (?) حلية الأولياء 3/117، الزهر الفائح 18.
2 (?) الفوائد 131.

قوم لا يصلون إلا المكتوبة، ردني فردها[1].

عن **إبراهيم بن وكيع** قال: كـان أبي يصلي، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى حتى جارية لنا سوداء[2].

أرأيت يا أخي الكريم... كيـف أن الخـير عم منـازلهم حـتى الخـدم تـأثروا بصـلاحهم وعبادتهم؟

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تقنع

ولننظر في ليلة من ليالي أبي هريـرة – رضي الله عنــه- كيف يقضــيها؟ فعن أبي عثمان النهـدي، قـال: تضـيفت **أبا هريـرة سبعًا**، فكـان هو وامرأته وخادمة يتعقبـون الليل أثلاثًـا، يصــلي هــذا، ثم يوقظ هــذا، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا...[3].

أرأيت أخي... كيف يقضــون ليلتهم؟ وكيف يحافظون على أوقاتهم؟ ونحن نهـدر

---

1 (?) الإحياء 1/420.

2 (?) السير 9/149، صفة الصفوة 3/171.

3 (?) صفة الصفوة 1/692، الزهد للإمام أحمد بن حنبل 259.

أيامنا ونضـيع أعمارنا ولا نبـالي ولا نحـرص على ذلك وأرخص شـيء عنـدنا الـوقت.. الـدقائق تمر والأنفـاس لا تعـود وعمـرك محاسب عليـه... فأعد حسـاباتك... واغتنم ساعاتك..

فرحم الله امرءًا كان قويًا فاسـتعمل قوته في طاعة الله، وكان ضعيفًا فعجز عن معاصي الله[1].

كـان زيد بن الحـارث يجـزئ الليل إلى ثلاثة أجـزاء: جـزء عليـه، وجـزء على ابنـه، وجـزء على ابنه الآخر عبد الـرحمن، فكـان هو يصـلي ثم يقـول لأحـدهما: قم، فـإن تكاسل صـلى جـزءه، ثم يقـول للآخـر: قم، فـإن تكاسـل، صـلى جـزءه، فيصـلي الليل كله[2].

وكـان **الحسن بن علي** -رضـي اللـه عنه- يأخذ بنصيبه من القيـام من أول الليـل وكان الحسين يأخذه من آخر الليل.

---

1 (?) كتاب الزهد الكبير للبيهقي 284.
2 (?) السير 5/296.

يا نائم الليل كم ترقد؟
قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته
وردًا إذا ما هجع الرقد
قل لذوي الألباب أهل
قنطرة العرض لكم موعد

ودعا **سليمان التيمي** أهله ليتنافسوا في ليلهم: هلموا حتى نجزئ الليل، فإن شئتم كفيتكم أوله، وإن شئتم كفيتكم آخره[1].

وقال وكيع بن الجراح: «كان **علي والحسن ابنا صالح بن حي**، وأمهما قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء، فكان علي يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام، وتقوم أمهما الثلث، فماتت أمهم، فجزءا الليل بينهما، فكانا يقومان به حتى الصباح، ثم مات علي، فقام الحسن به كله[2].

يا راقد الليل انتبه

---

1 (?) حلية الأولياء 3/29.
2 (?) صفة الصفوة 3/152.

إن الخطوب لها سري
ثقة الفتى بزمانه
ثقة محللة العرى[1]

ونحن نعيش معهم في جو العبـــــــادة ونرى طول صـبرهم ومـدى فـرحتهم نتـذكر قول **قتـادة بن دعامة**: قلما سـاهر الليل منافق.

فالمنـــــافق تشق عليه الطاعة وترهقه العبـــادة.. ولكن أهل الخـــير والصـــلاح لا ينـــامون. وكيف ينـــام من يــترقب حلـــول المسـاء ويفـرح بانقطاعه في العبـادة؟ كما قـــال **الفضـــيل بن عيـــاض**: إذا غـــربت الشمس فرحت بالظلام لخلوي بـــربي، وإذا طلعت، حزنت لدخول الناس عليَّ[2].

وروي عن ابن أبي ذئب أنه كـان يصـلي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة ولو قيل له: إن القيامة تقوم غدًا، ما كـــان فيه مزيد من الاجتهاد ..[3].

---

1 (?) حلية الأولياء 2/388.
2 (?) الإحياء 1/423.
3 (?) السير 7/141.

أخي الحـــــــــبيب.. أين نحن من هؤلاء...؟!

يــروى أن **ضــيغم** قد تعبد قائمًا حــتى أقعد، ومقعدًا حتى استلقى، ومستلقيًا حتى مـات وهو سـاجد، وكـان يقـول في دعائـه: «اللهم إني أحب لقاءك لقائي»[1].

والعجب أن الكثـــير منا وهبهم الله من الصــحة والقــوة والنشــاط ما لا يوجد في غـيرهم ولكن تتفـاوت الأعمـال، فـالبعض لا يصلي حـتى ثلاث ركعـات كل ليلـة، وهو لو قام الليـالي المتتابعة لما ضـعف ولا هـزل.. بل إن بعض الشـــــــباب يفتخر أنه يمشي رياضة كل يوم ثلاثة أو أربعة كيلو مـترات... وتراه يغفل عن صلاة ركعتين كل ليلة...

كـان **عثمـان** -رضي الله عنـه- يصـوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله[2].

أما **الإمام أبو حنيفة** فقد كان يحــيي نصف الليل، فمر بقوم فقالوا إن هذا يحـيي

1 (?) الزهر الفائح 18.
2 (?) الزهد للإمام أحمد بن حنبل 189.

الليل كلـه، فقـال: إني أسـتحيي أن أوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحيي الليل كله، ويروى أنه ما كان له فراش[1].

وهذا الصبر على الطاعة إعانة من اللـه للصـالحين فـتراهم كمـا قـال الفضـيل: إني لأسـتقبل الليـل من أولـه فيهولـني طولـه، فأفتتح القرآن، فأصبح وما قضيت نهمـتي...[2].

يا رجال الليل جدوا
رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا
من له عزم وجد
ليس شيء كصلاة الـ
ليل للقبر يعد[3]

لننظر بتأمل ما ذكره ابن جـريج عنـدما قال: لزمت **عطاء بن أبي ربـاح**، ثمـاني عشرة سنة وكان بعدما كـبر وضـعف يقـوم إلى الصـلاة، فيقـرأ مـائتي آية من البقـرة،

1 (?) الإحياء 1/420.
2 (?) الإحياء 1/420.
3 (?) عقود اللؤلؤ والمرجان 295.

وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك[1].

وكـان بشر بن المفضل يلقي للفضـيل حصيرًا بالليل في مسجده فيصـلي من أول الليل ساعة، حتى تغلبه عينـه، فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم، وهكذا حتى يصبح[2].

أخي:

إيـاك والغفلـة عمن جعـل لحياتـك أجلاً ولأيامك وأنفاسك أمدًا ومن كل ما سواه بد ولابد لك منه[3].

لهاك النوم عن طلب .. وعن تلك الكوانس في ..
تعيش مخلدًا لا موت فيها وتلهو في الخيام مع ..
تيقظ من منامك إن خيرًا من النوم التهجد بالقرآن[4]

قال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة

1 (?) السير 5/87.
2 (?) صفة الصفوة 2/238.
3 (?) الفوائد 129.
4 (?) عقود اللؤلؤ والمرجان 225.

-رضي الله عنه- ستة أشهر فما رأيته فيها ليلة وضع جنبه على الأرض[1].

أما إمام أهل السنة أحمد بن حنبل – رحمه الله- فهو كما قال عنه ابنه عبد الله: كان أبي يقرأ كل يوم سُبعًا، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو...[2].

ونحن نلحظ عبادة الصالحين، وتتوالى علينا صور الأخيار العابدين نرى المزيد من حياتهم ومحافظتهم على هذه الحياة والاستفادة منها الاستفادة الكاملة... لعلمهم أنها دار العمل.. فاليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل..

* اشتهر بقيام الليل كله، وصلاة الفجر بوضوء العشاء الكثير من خيار هذه الأمة الكثير منهم من لم يعرفوا ولم يذكروا وبعضهم ذكروا بذلك فمنهم سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر المدنيون، وفضيل ووهب المكيان،

---

1 (?) الإحياء 1/420.

2 (?) السير 11/214.

وطاوس، ووهب اليمانيان، والربيع بن خثيم والحكم الكوفيـان، وأبو سـليمان الـداراني وأبو جـابر الفارسـيان، وسـليمان الـتيمي ومالك بن دينار ويزيد الرقاشي وغيرهم[1].

أخي المسلم:

قم الليل يا هذا لعلك
إلى كم تنام الليل والعمر
أراك بطول الليل ويحك
وغيرك في محرابه يتهجد
أترقد يا مغرور والنار
فلا حرها يطفى ولا الجمر
ألا إنها نار يقال لها لظى
فتظلم أحيانًا وحينًا توقد
فيا راكب العصيان ويحك
ستحشر عطشانًا ووجهك
ولو علم البطال ما نال
من الأجر والإحسان ما كان
فصام وقام الليل والناس
ويخلو برب واحد يتعبد
فلو كانت الدنيا تدوم

1 (?) السير 5/12.

لكان رسول الله حيًّا يخلد

عن ابن إسحاق قال: قدم علينا عبد الرحمن الأسود حاجًا فاعتلت رجله، فصلى على قدم حتى أصبح[1].

وقالت امرأة مسروق: ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفخان من طول الصلاة.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط[*] أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سبعًا يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة الظهر، وكان ساعة يصلي العشاء الآخر ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو[2].

وكان سليمان التيمي يسبح الله في كل

1 (?) المدهش 431.

(*) التي أصابته في فتنة القول بخلق القرآن.

2 (?) مناقب الإمام أحمد 357.

سجدة سبعين تسبيحة[1].

ونحن في زماننـا هـذا نتسـاءل.. ونشـكو إلى اللـه ضـعفنا وخورنا..

فكم بين مشغول بطاعة
وآخر بالذنب الثقيل مقيد
فهذا سعيد بالجنان منعم
وذاك شقي في الجحيم
كأني بنفسي في القيامة
وقد فاض دمعي والمفاصل

ومن محبة الله القيـــــام لمناجاته في ظلم الليالي وهي مناجاة لا يعدلها فــرح ولا سرور ذكر ذلك **أبو سليمان** عنـدما قـال: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهــوهم، ولــولا الليل ما أحببت البقــاء في الدنيا[2].

وقـال ابن المنكـدر: ما بقي من لـذات الدنيا إلا ثلاث.. قيام الليـل، ولقـاء الإخـوان والصلاة في الجماعة[3].

---

1 (?) تذكرة الحفاظ 151.
2 (?) الإحياء 1/423.
3 (?) الإحياء 1/423.

وكيف حالنا اليــوم وقد أصــبح النــاس يتثاقلون في العبادة ويبتعدون عن الطاعة؟

فأخسر النـاس صـفقة من اشـتغل عن الله بنفسـه، بل أخسر منه من اشـتغل عن نفسه بالناس[1].

لنرى ليالينا التي أضـعناها فيما لا فائـدة منه كيف كــانوا يغتمــون بطلــوع الفجــر؟ وكيف كـانوا يفرحـون بقيـام الليل وصـيام النهار؟

فهذا علي بن البكار يؤكد الحزن بقوله: منـذ أربعين سـنة مـا أحزنـني شـيء سـوى طلوع الفجر[2].

صلاتك نور والعباد رقود

ونومك ضد للصلاة عنيد[3]

يا تــرى كيف كــانت محبتهم للطاعــات ومــداومتهم عليها حــتى جعلها الله عنــدهم من لذات الدنيا...

كـان **ثـابت البنـاني** يقـول: ما شـيء

1 (?) الفوائد 108.
2 (?) الإحياء 1/423.
3 (?) جامع العلوم والحكم 265.

أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل[1].

إنه ليل العبادة والطاعة، ليل يناجي فيه رب السموات والأرض... يفرحون به إذا أتى ويحزنون إذا رحل.

يروى عن **محمد بن المنكدر** -رحمه الله- أنه لما نزل به الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي حرصًا على الدنيا ولا جزعًا من الموت، ولكن أبكي على ما يفوتني ما ظمأ الهواجر وقيام ليالي الشتاء.

وصيام ليالي الشتاء وقيامها هي التي سماها النبي ، الغنيمة الباردة[2].

بكى الباكون للرحمن ليلاً
وباتوا وهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق ..
تحن متى عليها يسجدونا[3]

قال **الخلدي**: رأيت أحد العباد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك

---

1 (?) صفة الصفوة 3/262.
2 (?) أخرجه الترمذي وأحمد.
3 (?) عقود اللؤلؤ والمرجان 331.

العبارات، وفـنيت تلك العلـوم، ونفـدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركعـات كنا نركعها في الأسحار.

أخي الحبيب..ـ أين نحن من هؤلاء؟!

ومن كان يرغب في ذاك السبيل المستقيم
غير اتباع المصطفى فيما أسبل الظلالة والغواية
فاتبع كتاب الله والسنن الهدى[1]

من أراد قيــام الليل والقــرب من الله ومن أراد أن ينـــال هـــذه المنزلة الرفيعة فعليه أن يأخذ نفسه بهــذه الأسـباب الـتي تعين المسلم على قيام الليل ومنها..

1- **لا تكـثر الأكل** فيكـثر الشــرب، فيغلب النوم ويثقل عليك القيام.

2- **لا تتعب نفسك بالنهـــار** في الأعمال التي تعيا بها الجوارح، وتضـعف بها الأعصاب، فإن ذلك أيضًا مجلب للنوم.

---

1 (?) السير 23/314.
(*) زاد المعاد 1/322 باختصار.

3- **لا تترك القيلولة بالنهـار**، فإنها سنة للاستعانة على قيام الليل.

4- **سـلامة القلب من الحقد على المسـلمين**، ومن البـدع والخرافـات ومن هموم الدنيا، فإن هذه الأمراض تصرف عن طاعة الله.

5- **لا ترتكب الأوزار بالنهـار**، فـإن ذلك مما يقسي القلب، ويحـــول بينك وبين أسباب الرحمة.

6- **خــوف يلــزم القلب مع قصر الأمل**، والتفكر في أهـــوال يـــوم القيامة ودركات جهنم.

وأخــيرًا يا أخي الكــريم: تــذكر أن النبي ﷺ، قام من الليل حتى تفطرت قدماه.

وقام السلف الصالح والأخيار الصالحون من هـــذه الأمـــة... أفلا تحب أن تكـــون بجوارهم في جنات عدن؟... مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

أخي المسـلم: وأنت خـير من يخلف

سلف الأمة الصـالح بطـول القيـام وبصـدق المناجاة فأنت صـاحب القلب الحي العـامر بالإيمــان الصــادق... لا تنســنا من صــالح دعائك.

جعلنا الله وإياك من الذين قال فيهم: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُـــــــونٍ * آخِــذِينَ مَا آتَــاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَــانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِـنِينَ * كَـانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْـلِ مَا يَهْجَعُـونَ * وَبِالْأَسْـحَارِ هُمْ يَسْـتَغْفِرُونَ**﴾ [سـورة الـذاريات، الآيـات: 15-18].

هديه في قيام الليل[*]

لم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا، وكان قيامه ، بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة، وكان يصلي أول الليل أربع ركعات أو ست ركعات ثم يأوي إلى فراشه، وكان إذا استيقظ بدأ بالسواك ثم يذكر الله ويقول عند استيقاظه: **«الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»** ثم يتطهر، ثم يصلي ركعتين خفيفتين، وكان يقوم تارة إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ -وهو الديك- وهو إنما يصيح في النصف الثاني، كان يقطع ورده تارة، ويصله تارة وهو الأكثر.

قيامه بالليل ووتره أنواع فمنها:

النوع الأول: أنه يقطع ورده تارة ويصله تارة كما قال ابن عباس في حديث بيته عنده، أنه استيقظ فتسوك، وتوضأ، وهو يقول: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ**

لِأُولِي الْأَلْبَابِ [سورة آل عمران، الآية: 190]، فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف، فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ، ويقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث فأذن المؤذن، فخرج إلى الصلاة وهو يقول: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا**» رواه مسلم، ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة، فإما أنه كان يفعل هذا تارة، وهذا تارة، وإما أن تكون عائشة حفظت ما لم يحفظه ابن عباس.

النوع الثاني: الذي ذكرته عائشة أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم يتم ورده إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل

ركعتين ويوتر بركعة.

النــوع الثــالث: ثلاث عشـــرة ركعة كذلك.

النوع الرابع: يصــلي ثمــاني ركعــات، يســـلم من كل ركعـــتين، ثم يـــوتر بخمس ســردًا متواليًــا، لا يجلس في شــيء إلا في آخرهن.

النوع الخامس: تسع ركعــات، يســرد منهن ثمانيًا لا يجلس في شــــــيء منهن إلا في الثامنة، يجلس يذكر الله تعالى ويحمده ويـــدعوه، ثم ينهض ولا يســـلم ثم يصـــلي التاسعة ثم يقعد ويتشهد ويســلم ثم يصــلي ركعتين جالسًا بعدما يسلم.

النوع السادس: يصــلي ســبعًا كالتسع المذكورة، ثم يصلي بعدها ركعتين جالسًا.

النوع السابع: أنه كــان يصــلي مثــنى مثنى، ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن.

النــوع الثــامن: ما رواه النســائي عند حذيفة، أنه صلى عند النــبي ﷺ، في رمضــان فركع فقــال في ركوعــه: «**ســبحان ربي**

العظيم» مثل ما كان قائمًا، ثم جلس يقول: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي**» مثل ما كان قائمًا ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» مثل ما كان قائمًا فما صلى إلا أربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه إلى الصلاة.

وأوتر أول الليل، ووسطه، وآخره، وقام ليلة تامة بآية يتلوها ويرددها حتى الصباح وهي: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ**﴾ [سورة المائدة، الآية: 118].

المصادر

1- إحيــــاء علــــوم الـــــدين لأبي حامد الغــزالي – دار الكتب العلمية ط1، 1406 هـ.
2- بســتان العـارفين للإمـام أبي يحــيي زكريا بن شرف النووي، حققه محمد الجار.
3- تـاريخ بغـداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.
4- تـذكرة الحفـاظ للإمـام الـذهبي، دار إحياء التراث العربي.
5- تفسير ابن كثـير، للإمـام أبي الفـداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر 1401هـ.
6- جـــامع العلـــوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ط5، 1400هـ.
7- الجـــواب الكـــافي لمن ســـأل عن الـــــدواء الشـــــافي لابن قيم الجوزية ط1، 1407هـ.
8- حلية الأوليـــاء وطبقـــات الأصـــفياء، للحافظ أبي نعيم، دار الكتاب العربي.
9- رهبـــان الليـــل، ســـيد بن الحســـين العفاني، مكتبة ابن تيمية ط1، 1407هـ.

10- زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القـادر الأرنـاؤوط، مؤسسة الرسـالة 1402هـ.
11- الزهد للإمـــام أحمد بن حنبـــل، دراسة وتحقيق محمد السـعيد، دار الكتـاب العربي ط1، 1406هـ.
12- الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الــــذنوب والقبــــائح، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتاب العربي ط1، 1406هـ.
13- سير أعلام النبلاء، الــذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسـين الأسـد، مؤسسة الرسالة 1401هـ.
14- شـــذرات الـــذهب في أخبـــار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار إحياء الـتراث العربي.
15- صفة الصفوة لابن الجوزي، تحقيق محمــــود فـــــاخوري، ومحمد رواس، دار المعرفة 1405هـ.
16- صـيد الخــاطر لابن الجــوزي، دار

الكتاب العربي، ط2، 1407هـ.
17- طبقات الشافعية لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود محمد طناحي ورفيقه، دار إحياء الكتب العربية.
18- عقد اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان، إبراهيم بن عبيد.
19- الفوائد لابن القيم الجوزية، دار النفائس.
20- كتاب الزهد الكبير للإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، حققه الشيخ عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ط1، 1408هـ.
21- مختصر قيام الليل، شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، اختصرهما العلامة أحمد بن علي المقريزي.
22- المدهش لأبي الفرج جمال الدين الجوزي، ضبطه وصححه د. مروان قباني، دار الكتب العلمية ط2، 1405هـ.
23- مناقب الإمام أحمد للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي 1399هـ،

مكتبة الخاني.

الفهرس